محبَّة النبي والمدائح النبويَّة

أ.د.عارف علي عارف القره داغي

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي تحت عنوان (المدائح النبوية)

في جامعة دار الهدى الإسلامية بالهند

20–21 يناير 2015

مقدمة

بسم الله الذي يصطفي من يشاء ويختار، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث إلى العالمين رحمةً وضياءً، وعلى آله وأصحابه الذين آزروه وناصروه في المنشط والمكره، وضحوا بالغالي والنفيس لإعلاء دين الإسلام، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى قيام البعث والنشور.

أما بعد!

فإنَّ محبة النبي محمد ﷺوالاقتداء بسنته، وتوقيره وتعظيمه أمارةٌ على كمال الإيمان، وسبيلٌ لاتباع هديه في شؤون الحياة الإنسانية كلها، في العبادات، والمعاملات المالية، والأحوال الشخصية، وغيرها.

وعلى المسلم أن يقدِّم محبة النبي ﷺ على حب النفس والوالدين والأولاد والأموال والناس أجمعين؛ ذلك أن النبي ﷺ أخرجه من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل، وهو منقذ البشرية، وفخر للإنسانية.

ومن هنا، فمن أمارات محبته ﷺ امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ونصرة سنته، والدفاع عنها، وتبليغها على الوجه الصحيح، وكثرة الصلاة عليه، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه.

ويمكن مدح النبي محمدﷺ والثناء عليه بكل شيء مشروعٍ من منظور الدين الإسلامي، مالم يشتمل على محرم، كالغلوِّ في ذاته وشخصيَّته. وقدكان للنبي شعراء من الصحابة رضوان الله عليهم ينشدون الشعر المنضبط بالقيم الإسلامية، وينافحون عن الإسلام، ويدعون الناس إليه.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في استجلاء مفهوم محبة النبي محمد ﷺ عند علماء المسلمين، وإبراز أمارات وعلامات محبته؛ ليميز الكاذبُ من الصادق، واستعراض مفهوم المدائح النبوية، واستنطاق الوحيين (الكتاب والسنة)؛ لاستخراج حكمها الشرعي.

والله أرجو أن يتقبله بقبولٍ حسن، وأن ينفع به، إنه على كل شيءٍ قدير.

المبحث الأول: مفهوم محبة النبيﷺ وأدلة وجوب محبته

يرنو هذا المبحث التحدث عن مفهوم محبة النبي ﷺوأدلة وجوب محبته في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مفهوم محبة النبي

أولا/ المحبة لغةً:

ذكر ابن منظور (ت711هـ) أن المحبَّة اسمٌ للحب، والحب هو الوداد والمحبة، والحِبُّ هو المحبوب، والحب: نقيض البغض[1].

في حين تناول الراغب الأصفهاني (502هـ)معنى كلمة (الحب) بدقةٍ أكثر؛ إذ كشف أن " حَبَبْتُ فلانا، يقال في الأصل بمعنى: أصبت حبّة قلبه، نحو: شغفته وكبدته وفأدته، وأَحْبَبْتُ فلانا: جعلت قلبي معرّضا لحبّه... والمحبَّة: إرادة ما تراه أو تظنّه خيرا"[2].

ومما يجدر ذكره، أنَّ المحبة أتتْ في النصوص الشرعية على جانبين: الطبعي والشرعي، فمن الأول: حب الآباء، والأولاد، والأزواج، وحب المال.قال الله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14].وقال تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: 20] .وقال سبحانه: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} [القيامة: 20] .

ومن الثاني: قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54].

ثانيًا/ مفهوم محبة النبي عند علماء المسلمين

لقد كشف القاضي عياض (ت544هـ) اللثام عن حقيقة المحبة قائلاً: "وحقيقة المحبةالميل إِلَى مَا يُوَافِقُ الإنسان"[3].ثمَّ أبان النووي (ت677هـ) مغزى هذا التعريف، فذكر أنَّ هذا الميل على ثلاثة أقسام:

الأول: قديكونلمايستلذهاالإنسانويستحسنهكحسنالصورةوالصوتوالطعامونحوها.

---

[1] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقى، **لسان العرب**، (دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ)، ج1، ص289-290.

[2]أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم: الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ)،ص214.

[3] عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (دار الفيحاء – عمان، ط2، 1407هـ)، ج1، ص412.

الثاني: قديستلذهبعقلهللمعانيالباطنة كمحبةالصالحينوالعلماءوأهلالفضلمطلقًا.
الثالث: قديكونلإحسانهإليهودفعهالمضارّوالمكارهعنه.

ثم ذكر النووي أنَّهاتهالمعانيكلهاموجودةفيالنبيﷺ؛ ذلك أنهجمعمنجمالالظاهروالباطن،وكمالخلالالجلالوأنواعالفضائل،وإحسانهإلىجميعالمسلمين؛بهدايتهإياهمإلىالصراطالمستقيمودوامالنعموالإبعادمننار جهنم[4].

وتأسيسًا على ما سبق، فقد تباينت عبائر العلماء في تعريف محبة النبيﷺ، وهذا التباين عائدٌ إلى الألفاظ والمباني؛ إذ جميعها متفقةٌ في المعاني والمقاصد. ونسرد أبرز تلك التعاريف فيما يأتي:

"المحبة اتباع الرسول ﷺ".

" محبة الرسول اعتقاد نصرته والذبُّ عن سنته، والانقياد لها، وهيبة مخالفته".

ومن العلماء من قال: " إيثار المحبوب"[5].

ويعرِّف الباحث محبة النبي بأنها: ميل قلب المسلم إلى النبي محمد ﷺمؤثِرًا حبَّه على كل الناس.

المطلب الثاني: أدلَّة وجوب محبة النبيﷺ

تعدُّ محبة النبي محمد ﷺعبادةً عظيمةً يتقرَّب المسلم بها إلى الله سبحانه وتعالى؛ ذلك أنَّ محبة النبي عنوان الإيمان، وشعار التقوى، ودِثار الصالحين، ومسلك العارفين بالله تعالى، وقد تظاهرتْ على ذلك دلائل الكتاب والسنة.

وثمة براهين عديدة على وجوب محبة النبي ﷺعلى كل مسلم، نزجي أبرزها فيما يأتي:

الحجة الأولى: قول الله تعالى: {قُلْإِنكَانَآبَاؤُكُمْوَأَبْنَآؤُكُمْوَإِخْوَانُكُمْوَأَزْوَاجُكُمْوَعَشِيرَتُكُمْوَأَمْوَالٌاقْتَرَفْتُمُوهَاوَتِجَارَةٌتَخْشَوْنَكَسَادَ

[4]أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**،(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ)، ج2،ص14.

[5] القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص66-67.

هَاوَمَسَاكِنُتَرْضَوْنَهَاأَحَبَّإِلَيْكُممِّنَاللّهِوَرَسُولِهِوَجِهَادٍفِيسَبِيلِهِفَتَرَبَّصُواْحَتَّىيَأْتِيَاللّهُبِأَمْرِهِوَاللّهُلاَيَهْدِيالْقَوْمَا لْفَاسِقِينَ}[التوبة: 24].

وجه الدليل: أنَّ الله سبحانه وتعالى توعَّد من آثر حبَّ هاته الأشياء المذكورة في الآية على محبة الله تعالى ورسولهﷺ، وهدَّدهم بالعقاب، فنتج أن محبة الله ورسوله ﷺواجبةٌ؛ إذ لا عقاب إلا على ترك واجبٍ، أو فعل محرم.

وقد جلَّى القاضي عياض وجه دلالة الآية على وجوب محبة الرسولﷺجلاءً حسنًا فقال:" فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالةً وحجةً على التزام محبته ووجوب فرضها، وعِظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله... ثم فسَّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضلَّ ولم يهده الله"[6].

ومما يجدر بالإلماع هنا، أن الآية ليس فيها منعٌ من محبة الأشياء المذكورة فيها؛ لأن الإنسان جبل على حبها، بل المذموم هو تقديم حبها على محبة الله تعالى ورسولهﷺ؛ ذلك أن صيغة (أحبَّ) على وزن (أفعل) وضعت للتفضيل في اللغة العربية.

الحجة الثانية:قولهﷺ:"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[7].

محل الشاهد: أنَّ إيمان المسلم لا يكتمل ولا يتمُّ إلا إذا كان الرسول محمدﷺ أحب إليه من الناس أجمعين.

وقد نقل النووي عن الخطابي(ت388هـ) أنَّ الرسول ﷺلم يقصد في هذا الحديث الحب الطبعي، بل قصد الحب الاختياري؛ "لأنحبالإنسياننفسهطبع،ولاسبيلإلقلبه...فمعناه:لاتصدقفيحبحتىتفنىفيطاعتىنفسك،وتؤثررضاي عليهواكوإنكانفيههلاكك"[8].

---

[6] القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص43.

[7]أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الإيمان، باب: حب الرسول من الإيمان، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج1، ص12، رقم:15.

[8] النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج2، ص15.

الحجة الثالثة: قوله ﷺ: "ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولهُ أحب إليه مما سواهما. وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[9].

محل الدليل:أن إيمان المسلم لا يتم، ولا يجد قلب المسلم حلاوة الإيمان إلا بتقديم محبة الله تعالى ورسوله ﷺ على كل شيءٍ.

قال ابن بطال (449هـ):

"وكذلكمحبةرسولاللههاالتزامشريعتهواتباعطاعته،ولماالمنصلاإلىالإيمانإلابالرسول،كانتمحبتهمنالإيمان"[10].

ولعظم محبة النبي ﷺ، فإن أعداء الإسلام بذلوا قصارى جهدهم في كل زمانٍ ومكانٍ لإقصائه وإبعاده عن القلوب والأفئدة، وإهمال ذكره، وتربية الأجيال على تبغيضه وعدم توقيره، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل، ويأبي الله إلا أن يتمَّ نوره، ويزداد عدد أتباعه على مرِّ العصور.

المبحث الثاني: أمارات محبة النبي والمدائح النبوية

يتحدث هذا المبحث عن أمارات محبة النبي والمدائح النبوية في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أمارات محبة النبي

إنَّ محبة النبي ﷺليس مجرد كلام يُقال، أو شعار يُرفع، بل تفتقر إلى دليل يثبت صدق المدعي، يقول القاضي عياض:"اعلم أنَّ من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبِّه، وكان مدَّعيًا"[11]؛ لذا قعَّد علماء المسلمين أمارات وعلامات تدل على محبة النبي محمد ﷺ، نستجلي أبرزها فيما يأتي:

أولاً/ الاقتداء بسنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع هديه.

---

[9] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج1،ص12، رقم: 16.

[10] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخارى**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ/2003م)، ج1، ص67.

[11] القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص56.

قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[آل عمران: 31].

موطن الاحتجاج: أنَّ اتباع هدي النبي محمد ﷺ سبيلٌ ودليل إلى محبة الله تعالى، وأن محبة الله تعالى لا تكون إلا باتباع هدي النبي ﷺ.

ويفسِّر ابن كثير(774هـ) الآية بأسلوبه الماتع، فيقول:"هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمديَّ والدين النبويَّ في جميع أقواله وأحواله"[12].

ثانيا/نصرة سنته والحرص على تبليغها.

نقل النووي عن القاضي عياض قوله:"ومن محبته ﷺنصرة سُنته، والذَّب عن شريعته، وتمنِّي حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه"[13].

ثالثًا/كثرة الصلاة على النبي ﷺ.

قال تعالى: {إِنَّاللَّهَوَمَلَائِكَتَهُيُصَلُّونَعَلَىالنَّبِيِّيَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواصَلُّواعَلَيْهِوَسَلِّمُواتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

وجه الدليل: أن الآية إخبارٌ من الله تعالى لعباده بعظيم منزلة عبده ونبيه محمد ﷺ عنده في الملأ الأعلى، وأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر سبحانه وتعالى المسلمين بالصلاة والسلام عليه[14].

وقد وردت أحاديث عديدة من النبي ﷺ، تحرض على التصلية عليه، وتبيان أجرها الوفير، وثوابها الجزيل.

رابعًا/ تبغيض من أبغض اللهَ ورسوله.

قال تعالى: {لَاتَجِدُقَوْمًايُؤْمِنُونَبِاللَّهِوَالْيَوْمِالْآخِرِيُوَادُّونَمَنْحَادَّاللَّهَوَرَسُولَهُوَلَوْكَانُواآبَاءَهُمْأَوْأَبْنَاءَهُمْأَوْإِخْوَانَهُمْأَوْ

---

[12]أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م)، ج2، ص32.

[13] النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج2، ص16.

[14]ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص457.

عَشِيرَتَهُمْأُوْلَئِكَكَتَبَفِيقُلُوبِهِمُالْإِيمَانَوَأَيَّدَهُمبِرُوحٍمِّنْهُوَيُدْخِلُهُمْجَنَّاتٍتَجْرِيمِنتَحْتِهَاالْأَنْهَارُخَالِدِينَفِيهَارَضِيَاللَّهُ عَنْهُمْوَرَضُواعَنْهُأُوْلَئِكَحِزْبُاللَّهِأَلَاإِنَّحِزْبَاللَّهِهُمُالْمُفْلِحُونَ}[المجادلة:22].

خامسًا/ محبة القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه وحيًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"[15].

يقول القاضي عياض:" وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهُّمه ويحب سنته ويقف عند حدودها"[16].

سادسًا/ التأدب معه.

يقول القاضي عياض:" واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته.. وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعِترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته"[17].

ومن هنا، فقد ضرب الصحب الكرام أروع الأمثلة في محبة النبي ﷺ، وافتدوه بأنفسهم وأموالهم.

يقول عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: "ماكانأَحدٌأَحبَّإليمنرسولاللهِﷺ،ولاأجلَّفيعَيْنِيمنه،وماكنتأُطِيقُأَنأَملأَعينَيَّمنه؛إِجْلالًاله.وَلَوْسُئِلتُأَنأَصِفهماأَطَقتُ؛لِأَنِّيلمأَكنأَملأُعَيْنَيَّمنه"[18].

وارجع معي البصر وتأمل ما قاله عروة بن مسعود لقريش وقد بعثته في شأن الصلح: "أي قوم، واللهلقدوفدتعلىالملوكووفدتعلىقيصروكسروالنجاشي.واللهإنرأيتملكاقطيعظمهأصحابهمايعظمأصحابمحمدﷺمحمدًا.واللهإنتنخمنخامةإلاوقعتفيكفرجلمنهمفدلكبهاوجههوجلده.وإذاأمرهمابتدروا

[15] أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، ج41، ص148، رقم: 24601.

[16] القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص63.

[17]الشفا،ج2، 91.

[18] أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ، ج1، ص112.

أمره. وإذاتوضأ كادوايقتتلونعلىوَضوئه. وإذاتكلّمخفضواأصواتهمعنده. ومايحدو نإليهالنظر؛تعظيمًاله ."[19]

وتأمل سبب نزول قوله تعالى: {وَمَنْيُطِعِاللَّهَوَالرَّسُولَفَأُولَئِكَمَعَالَّذِينَأَنْعَمَاللَّهُعَلَيْهِمْمِنَالنَّبِيِّينَوَالصِّدِّيقِينَوَالشُّهَدَاءِوَالصَّالِحِينَوَحَسُنَأُولَئِكَرَفِيقًا} [النساء:69]؛ لتأخذنا الدهشة من مدى محبة الصحابة لرسول الله ﷺ.

عن عائشةرضى الله عنها قالت: "جَاءَرَجُلٌإِلَىالنَّبِيِّﷺفقال: يارَسُولَاللَّهِ: إِنَّكَلأَحَبُّإِلَيَّمِنْنَفْسِيوَأَحَبُّإِلَيَّمِنْأَهْلِي،وَأَحَبُّإِلَيَّمِنْوَلَدِي،وَإِنِّيلأَكُونُفِيالْبَيْتِفَأَذْكُرُكَفَمَاأَصْبِرُحَتَّىآتِيَكَفَأَنْظُرَإِلَيْكَ،وَإِذَاذَكَرْتُمَوْتِيوَمَوْتَكَعَرَفْتُأَنَّكَإِذَادَخَلْتَالْجَنَّةَرُفِعْتَمَعَالنَّبِيِّينَ،وَإِنْدَخَلْتُالْجَنَّةَخَشِيتُأَلَّاأَرَاكَ. فَلَمْيَرُدَّعَلَيْهِالنَّبِيُّﷺحَتَّىنَزَلَتْعَلَيْهِ"[20].

المطلب الثاني: مفهوم المدائح النبوية وحكمها

أولاً/ مفهوم المدائح النبوية

إنَّ جذر كلمة (المدائح) يعود إلى الفعل الثلاثي المجرد (مَدَح يمدَح مدحًا)، و المدح: نقيض الهجاء، وهو حُسن الثناء، والجمع مِدَحٌ، وهو المديح، والجمع: المدائح، والأماديح. والمدائِح: جَمْعُالمدِيحِمِنالشِّعْرِالَّذِيمُدِحَبِهِ[21].

ولا يخرج مفهوم المدائح النبوية عن المعنى اللغوي؛ ذلك أنها: عبارة عن القصائد والأشعار التي قيلت وتُقال في مدح الرسول محمد ﷺوالثناء عليه، والمدح أحد أغراض الشِّعر.

ويعدُّ المديح النبوي من مبتكرات الشعر الإسلامي، وسار عليه الناس على مرِّ العصور، كنوعٍ شعري بذاته، واشتهر في أداء هذا النوع شعراء احتلوا مكانا مرموقًا، وتقديرًا بالغًا، وقد اجتمع في هذا النوع الجديد من الشعر خصائص النسيب الرقيق بالمديح البليغ.

[19] البخاري، **صحيح البخاري**، ج3، ص195.

[20] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص354.

[21] ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص589- 590.

ويعود نشوء شعر المديح النبوي إلى شعر الشعراء المخضرمين، ثم دام بعده في التاريخ، على يد الشعراء المسلمين، وفي لغات الشعوب الأخرى، ولا يزال مستمرًا إلى اليوم[22].

ومما يعد من هذا النوع ما قاله حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه في مدح الرسولﷺ:

وأحسن منك لم تر قطُّ عيني وأجمل منكَ لم تلِد النســــاء
خلقتَ مبــرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشــاء[23]

ويقول- رضي الله عنه-

أغرُّ، عليه للنبــــــوة خاتمٌ من الله مشهــودٌ يلوح ويُشهـــــد
وضم الإلهُ اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذنُ أشهـــد
وشق له من اسمـــــه ليجِلَّـــه فذو العرش محمـــود وهذا محمـــد
نبي أتانا بعــــد يأسٍ وفتـــرة من الرُّسْل والأوثان في الأرض تُعبد
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا يلوح كما لاح الصـــــقيلُ المهنـــدُ
وأنـــذرنا نارًا وبشَّــــــر جنةً وعلـــمنا الإسلام فاللهَ نحـــمدُ[24].

وتعد قصيدة (بانت سعاد) ، أو (قصيدة البردة) التي قالها كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺعند مجيئه إليه تائبًا معتذرا عما سلف من إساءاته، من أساسيات هذا النوع من الشعر[25].

ثانيا/ حكم المدائح النبوية

بعد أن استبان لنا المقصود من المدائح النبوية، وأنها أشعارٌ تقال في مدح الرسولﷺ، وذلك بذكر شمائله الجميلة، وأخلاقه الفاضلة، ينجلي بوضوحٍ أنها مشروعةٌ وجائزةٌ شريطة خلوّ تلك

---

[22] محمد الرابع الحسني الندوي، **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،** (مؤسسة الرسالة: ط1، 1405هـ/1985م)، ص88.

[23] ديوان حسان بن ثابت، ص21.

[24] **ديوان حسان بن ثابت،** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1414هـ/ 1994م)، ص54.

[25] **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،** ص89.

القصائد والأشعار من الغلوِ في حقِّ النبي ﷺ، وعدم الإطراء في ذاته الشريفة، مع خلوِّها من الكلمات النابية، والألفاظ البذيئة، وبرهان ذلك قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُيَتَّبِعُهُمُالْغَاوُونَ،أَلَمْتَرَأَنَّهُمْفِيكُلِّوَادٍيَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْيَقُولُونَمَالَايَفْعَلُونَ، إِلَّاالَّذِينَآمَنُواوَعَمِلُواالصَّالِحَاتِوَذَكَرُوااللَّهَكَثِيرًاوَانتَصَرُوامِنبَعْدِمَاظُلِمُواوَسَيَعْلَمُالَّذِينَظَلَمُواأَيَّمُنقَلَبٍيَنقَلِبُونَ} [الشعراء: 224-227].

وكان سبب نزول هاته الآيات أنَّه "لَمَّانَزَلَتْ: {وَالشُّعَرَاءُيَتَّبِعُهُمُالْغَاوُونَ}، جَاءَحسانبنثابت،وعبداللهبنرَوَاحة،وَكَعبُبنُمَالِكٍإِلَىرَسُولِاللَّهِﷺ،وَهُمْيَبْكُونَفَقَالُوا: قَدْعَلِمَاللَّهُحِينَأَنْزَلَهَذِهِالْآيَةَأَنَّاشُعَرَاءُ. فَتَلَاالنَّبِيُّﷺ: {إِلاالَّذِينَآمَنُواوَعَمِلُواالصَّالِحَاتِ} قَالَ: "أَنْتُمْ"، {وَذَكَرُوااللَّهَكَثِيرًا} قَالَ: "أَنْتُمْ"، {وَانْتَصَرُوامِنْبَعْدِمَاظُلِمُوا} قَالَ: "أَنْتُمْ"[26].

وقد استثنى الله تعالى" الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة، والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺوالصحابة وصلحاء الأمة،وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم"[27].

وملخص الآية أنها قسمت الشعراء قسمين:

الأول: الغاوون المنحرفون المائلون عن الصراط السوي، والمنهج الأدبي المنضبط بالضوابط الشرعية، فلا يتكلمون بالمشروع، فهم في واد الكذب والزور يتيهون، وميزان الكلام عند هؤلاء أهواءهم ونزواتهم؛ لذا فهم مذمومون.

الثاني: أولئك الذين آمنوا بربهم، واقتفوا سنة النبي محمدﷺ، فسارعوا إلى الأعمال الصالحة، وصدَّقوا في نياتهم، واتخذوا الشريعة الإسلامية ميزانًا لأشعارهم وقصائدهم ومدائحهم، فلا يمدحون إلا من يستحق المدح، ويدافعون عن الشريعة الإسلامية، أو ينتهضون بنظم العلوم الشرعية النافعة؛ ليسهل على الطلاب حفظها، ويعم نفعها.

[26]ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص175.

[27]أبوالقاسممحمودبنعمروبنأحمد،الزمخشريجارالله، **الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج3، ص345.

وقد استثنى الله تعالى هذه الشرذمة من عموم قوله سبحانه:{وَالشُّعَرَاءُيَتَّبِعُهُمُالْغَاوُونَ}، وفي ضوء هاته القاعدة القرآنية التأصيلية تفسر الأحاديث النبوية التي تذم الأشعار والقصائد تارةً، وتمدحها كرَّةً.

ومن بين تلك الأحاديث قولهﷺ:"إنمنالشعرحكمة"[28].

وجه الدليل: أنَّ حرف الجرِّ (مِن) تفيد التبعيض، أيْ: ليس كل شعرٍ باطلٌ وكذب، بل بعضه يشتمل على إقامة الحق، والتحريض على الأعمال الصالحة، وهذا البعض مستساغٌ، بل مطلوبٌ؛ ذلك أنه يتضمن الحكمة التي فسرها ابن حجر(852هـ) بقوله:" قولاً صادقًا مطابقا للحق"[29].

قال ابن بطال في تأويل الحديث: "الشعروالرجزوالحداءكسائرالكلام،فماكانفيهذكرتعظيمللهووحدانيتهوقدرتهوإيثارطاعتهوتصغيرالدنياوالاستسلامللهتعالى...فهوحسنمرغبفيه ... وماكانمنهكذبًاوفحشًافهوالذىذمهاللهورسوله. وقالالشافعى: الشعركلام،وحسنهكحسنالكلاموقبيحهكقبيحه"[30].

ومنها أنَّ رسول الله ﷺقال لحسان بن ثابت رضي الله عنه:" اهْجُهُمْأوهَاجِهِمْوَجِبْرِيلُمَعَكَ"[31].

وفي صحيح مسلم أن حَسَّانَ بن ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ هل سَمِعْتَ النبي ﷺيقول:" يا حَسَّانُ أَجِبْ عن رسول اللَّهِ ﷺ، اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" قال أبو هُرَيْرَةَ: نعم"[32].

---

[28] البخاري، **صحيح البخاري**،باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ج8، ص34. رقم: 6145.

[29] أحمدبنعليبنحجرأبوالفضلالعسقلانيالشافعي، **فتحالباريشرحصحيحالبخاري**، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ) ج10، ص540.

[30] شرح صحيح البخاري، ج9، ص319.

[31] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ج4، ص1933. رقم: 2486.

[32] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ج4، ص1933. رقم: 2485.

وهذه حجة على أن الرسول ﷺ كان يستحسن الشعر المنضبط البناء، وفتح لأصحابه ولمن جاء بعدهم طريق الأدب الشعري المنظوم؛ ليعبروا عما تجيش به نفوسهم من مشاعر وعواطف و تأملات.

وحين أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الشِّعْرِ مَا أَنْزَلَ، أتى كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَكَيْفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ "[33].

ولقد كان شعر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ملتزما بالطبيعة الإسلامية، ومتسعًا باتساع عهده، فكان مشتملاً على الرضى والسخط، والحزن والسرور، والوصف والحكمة. ونبغ من بين الصحابة ثلاثة منهم اشتهروا بشعراء الرسول ﷺ، وهم: حسان بن ثابت الأنصاري، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك رضي الله عنهم[34].

[33]أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م)، ج25، ص63، رقم:15758.

[34]الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، ص63.

خاتمة

توصَّل البحث– بعون الله تعالى– إلى النتائج الآتية:

1. محبةالنبيعبارةٌ عنميلقلبالمسلمإلىالنبيمحمدﷺمؤثرًا حبَّهعلىكلالناس.
2. تعدُّمحبةالنبيمحمدﷺعبادةًعظيمةًيتقرَّبالمسلمبهاإلىاللهسبحانهوتعالى؛ذلكأنَّمحبةالنبيعنوانا لإيمان،وشعارالتقوى،ومسلكالعارفينباللهتعالى،وقدتظاهرتْعلىذلكأدلَّةالكتابوالسنة.
3. إنَّمحبةالنبيﷺليسمجردكلاميُقال،أوشعاريُرفع،بلتفتقرإلىالدليليثبتصدقالمدعي؛ لذا قعد علماء المسلمين أماراتٍ تدلُ على هاته المحبة، منها: الاقتداء بسنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتوقيره، والتأدب بآدابه وغير ذلك.
4. يقصدبالمدائحالنبويةتلكالقصائدوالأشعارالتيقيلتوتُقالفيمدحالرسولمحمدﷺوالثناءعليه.ويعدُّالمديحالنبويمنمبتكراتالشعرالإسلامي،وسارعليهالناسعلىمرِّالعصور، ونشأ على يد الشعراء المخضرمين، ثم انتشر في العالم الإسلامي، بلغاتٍ شتى.
5. ينجليبوضوحٍأن المدائحَ النبويةمشروعةٌوجائزةٌشريطةخلوِّتلكالقصائدوالأشعارمنالغلوِّفيحقِّالنبيﷺ،وعدمالإطراءفيذاتهالشريفة،معخلوِّها–أيضًا–منالكلماتالنابية،والألفاظالبذيئة، وقد تكاثرت على هاته الشرعية دلائل الكتاب والسنة النبوية؛ ذلك أنَّ الرسول ﷺكان له شعراء مثل حسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره، مدحوه في أشعارهم وقصائدهم، وعبَّروا عن مدى محبتهم له، ودافعوا عن الإسلام بالكلمة التي كانت أشدَّ عليهم من وقع النبل.
6. إنَّني أجزم بعِجزي عن إعطاء النبي محمدٍﷺ عبدِ الله ورسوله الأمي حقَّه من الوصف والبيان في هاته الورقات القليلات،بيد أنها مساهمةٌ متواضعةٌ في هذا الميدان الفسيح العريض، كل حسب نيته؛ علَّ ذلك يقرِّبنا من النبي محمدﷺ، وننال شفاعته يوم التناد.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م)

2. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخارى**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ/2003م)

3. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)

4. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم: الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412هـ)

5. أبوالقاسممحمودبنعمروبنأحمد،الزمخشريجارالله ، **الكشافعنحقائقغوامضالتنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)،

6. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**،(دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ)،

7. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب الإيمان، باب: حب الرسول من الإيمان، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)

8. أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م).

9. أحمدبنعليبنحجرأبوالفضلالعسقلانيالشافعي، **فتحالباريشرحصحيحالبخاري**، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)

10. **ديوان حسان بن ثابت،** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1414هـ/ 1994م).

11. عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (دار الفيحاء – عمان، ط2، 1407هـ)،

12. محمد الرابع الحسني الندوي، **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،** (مؤسسة الرسالة: ط1، 1405هـ/1985م)،

13. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقى، **لسان العرب،** (دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ)